

## تقنيات الزمن في السرد الجبراني

د. ضاحي حسن \*

(تاريخ الإيداع ١١/٢٨ / ٢٠٢٣. قُبِلَ للنشر في ١٤/١ / ٢٠٢٤)

□ ملخص □

يُعدّ الزمن من العناصر المهمة في العمل الروائي، وللزمن أهمية كبيرة في الحياة بشكل عام والآداب بشكل خاص، فهناك ارتباط وثيق بين الأدب والزمن؛ إذ يظهر الاستخدام المكثف لصور الزمن في النص الواحد؛ فيتلاحم الماضي مع الحاضر والمستقبل في بنية واحدة متماسكة، وقد شكّل الزمن هاجساً أرقّ الأدباء، بحكم ارتباطه بالوجود، فلا تتفكّ صلته به، فهو الماضي الذي ذهب من بين يديه ولم يعد، وعمره في اللحظة الآنيّة التي يعيشها، والمستقبل الذي ينتظره.

يحاول هذا البحث تبين السمات الجمالية لتقنية الزمن وأثرها في السرد في نصوص متخيرة من أدب جبران خليل جبران، من خلال الوقوف عند تقنيات الزمن: السرد الاستنكاري (الاسترجاع)، السرد الاستشرافي (الاستباق)، تسريع السرد، تعطيل السرد، وكيف ساهمت هذه التقنيات في تشكيل السرد في النص الجبراني.

**الكلمات المفتاحية:** تقنيات الزمن، السرد، جبران خليل جبران.

---

\*د. ضاحي حسن، عضو هيئة فنية - قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة طرطوس - طرطوس - سورية.

## Techniques of time in algebraic narrative

Dr.Dahi Hasan \*

(Received 28/11 /2023. Accepted 14/1/2024)

### □ ABSTRACT □

Time is one of the important elements in a novel, and time has great importance in life in general and literature in particular. There is a close connection between literature and time. The extensive use of time images appears in one text. The past combines with the present and the future in one cohesive structure, and time has formed the most subtle obsession of writers, by virtue of its connection to existence, and its connection with it is inseparable, as it is the past that has passed from his hands and has not returned, its life in the immediate moment in which it lives, and the future that awaits it.

This research attempts to identify the aesthetic features of the technique of time and its impact on narration in selected texts from the literature of Gibran Khalil Gibran, by examining the techniques of time: reminiscent narration (retrieval), anticipatory narration (anticipation), accelerating narration, disrupting narration, and how these techniques contributed to Narrative formation in the algebraic text.

**Keywords:** techniques of time, narrative, Gibran Khalil Gibran.

---

\*Dr.Dahi HasanFaculty of Arts and -Department of Arabic Language -Member of the Technical Board ,  
Human Sciences - University of Tartous - Tartous - Syria.

**مقدمة:**

تُعَدُّ تقنية الزمن من التقنيات الأدبية التي تضفي على النص جمالية نابغة من بناء النص الأدبي وتوليد دلالاته عبر ربط الأحداث ببعضها وتسلسلها في النص بما ينسجم مع إبداع الكاتب ورغبته في الوصول إلى عقل قارئ وإثارة خياله، وسيحاول هذا البحث تقصي أثر هذه التقنية في تشكيل النص الجبراني، وتفاعله مع تشكيلات أخرى في سبيل إنتاج المعنى وتوليد الدلالة، للوصول إلى نتيجة تكشف بعده الجمالي في نصوص جبران.

**أهمية البحث وأهدافه:**

١. تتجلى أهميّة البحث (تقنيات الزمن في السرد الجبراني) من خلال النقاط الآتية:  
 ١. تطبيق التقنيات السردية التي ترتبط بالزمن على نصوص ثرية من أدب جبران خليل جبران.
  ٢. قراءة النصّ الإبداعي من خلال تقنية الزمن بعيداً عن التقنيات الأخرى، أي معرفة البعد الزمني عندما يصبح غاية لا يمكن إدراك النص إلا من خلالها.
  ٣. اختزال الأحداث التي لا تقدم فائدة في سبيل فهم النص، وبالمقابل يُسلط الضوء على الأحداث المهمة التي تمنح النص معناه.
- والهدف من هذا البحث هو معرفة أثر الزمن في السرد، إذ يأخذ بخيال المتلقي من بؤرة زمنية محددة إلى أخرى أرادها المبدع لكي يحيط المتلقي بأطراف الحدث، وبالتالي تتوضح الصورة المراد إيصالها، فيحقق المبدع غايته، وينعم المتلقي بلذة المعرفة.

**منهجية البحث:**

تتحدد المنهجية بأنها تتناول تقنية الزمن، وجمالياتها في النص الجبراني، وذلك وفق المنهج الوصفي في تناول نصوص جبران خليل جبران؛ إذ يتيح هذا المنهج إمكانية مقارنة النصوص وفق خطوات متسلسلة، تبدأ بإدراك النص الشعري بوصفه خطوة أولى لمعرفة المضمون المباشر والأولي في النص، ثم تحليل هذا النص وتركيبه وفقاً لحركية الزمن مستنداً على رؤية جمالية تُعيد إنتاج النص وتركيبه.

**تمهيد:**

تؤدي حركة الزمن في السرد دوراً جمالياً في ربط الأحداث ببعضها عبر تقنيات متعددة تسهم في تشكيل السرد زمنياً يقول إسحاق بارو: "سواء جرت الأشياء أو ثبتت في مكانها. وسواء نمنا أو استيقظنا فإن الزمان ينساب بإيقاعه المطرد"، ويؤكد باختين أن "النص هو بنية قائمة على التداخل والتفاعل بين أصوات وأساليب وخطابات"، كما تتوزع أنساق الزمن السردية بحسب الآتي:

ولسون، كولن، كرة الزمان عبر التاريخ، ترجمة: فؤاد كامل، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٥٩، مارس ١٩٩٢م، ص ٢٥.

درويش، أسمية، مسار التحولات، قراءة في شعر أدونيس، ط ١، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٥٨.

° ينظر: عزام، محمد، شعرية الخطاب السردية، ص ١٠٥.

- ١- النسق الزمني الصاعد: ويعرض لنا هذا النسق بداية زمن الحكاية، ثم تتتابع الأحداث فيه تتابعاً زمنياً خطياً يُخلص لمفهوم الحبكة التقليدية على مستوى الأحداث وزمنها: (بداية - وسط - نهاية)، أو (بداية - عقدة - حل).
  - ٢- النسق الزمني المنقطع: ويعرض لنا هذا النسق فترة ما من زمن الحكاية الراهن، ثم تتوالى الأحداث فيه متقطعة بتقطع أزمنتها عبر سيرها الهابط من الحاضر إلى الماضي، أو الصاعد من الحاضر إلى المستقبل.
  - ٣- النسق الزمني الهابط: ويعرض لنا هذا النسق نهاية زمن الحكاية، ثم يبدأ بالنزول تدريجياً - عبر المفارقات الزمنية - وصولاً إلى بدايتها أو أصلها.
- وقد استخدم جبران في معظم قصصه النسق الزمني الصاعد، مركزاً على تسلسل الأحداث زمنياً وصولاً إلى نهاية القصة، لكنه اخترق هذا النسق التقليدي عبر استخدامه مجموعة من التقنيات التي تسهم في تشكيل السرد لديه، ويمكننا تحديد هذه التقنيات بالآتي:

### أولاً: السرد الاستذكاري (الاسترجاع)

يُسمى الاسترجاع بالسرد الاستذكاري، "لأنه شكل من أشكال الرجوع للماضي للتعريف بالشخصية، و ما مر بها من أحداث، أو التعريف بشيء من الأشياء، و ما سوى ذلك"، يعتمد السرد أحياناً على تقنية (الاسترجاع) في استنكار أحداث سابقة على النقطة التي بدأت بها القصة، أو وصلت إليها "ولكن الرواية غالباً تخالف التدرج الطبيعي للحكاية، فتعود إلى الماضي (استرجاع)..."، وتحقق هذه الاستذكارات عدداً من المقاصد الحكائية، مثل ملء الفجوات التي خلفها السرد وراءه، وسد الفراغ الذي حصل في القصة، والعودة إلى أحداث سبقت إثارتها برسم التكرار الذي يفيد التذكير، أو لتغيير دلالة بعض الأحداث الماضية، وكل ذلك يجعل الاستنكار أو الاسترجاع من أهم وسائل انتقال المعنى داخل السرد.

عموماً "يُعد الاسترجاع من أكثر التقنيات الزمنية السردية حضوراً و تجلياً في النص الروائي، فهو ذاكرة النص، ومن خلاله يتحايل الروائي على تسلسل الزمن السردى، إذا ينقطع زمن السرد الحاضر، و يستدعي الماضي بجميع مراحل، و يوظفه في الحاضر السردى، فيصبح جزءاً لا يتجزأ من نسيجه، فاسترجاع الماضي واستمراره في الحاضر، لا يخضع لتسلسل كرونولوجي متسق"، وقد استخدم جبران هذا النمط من السرد في قصته (وردة الهاني)، إذ تعود وردة إلى ماضيها خلال حديثها مع الراوي لتتذكر حالها قبل الزواج من رشيد، تقول:

**"كنت في الثامنة عشرة من عمري عندما قادني القدر إلى رشيد بك نعمان، وكان هو  
إذ ذاك قريباً من الأربعين، فشغف بي، ومال إلي ميلاً شريفاً كما يقول الناس، ثم جعلني**

<sup>٦</sup> مرتاض، عبد الملك: ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية جمال بغداد، ديوان مطبوعات الجامعة، الجزائر، ط ١، ١٩٩٣، ص ١٥٧.

<sup>٧</sup> زيتوني، لطيف: معجم مصطلحات نقد الرواية (عربي، إنجليزي، فرنسي)، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٢، ص ١٠٠.

<sup>٨</sup> ينظر: بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي - (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٠م، ص ١٢١ - ١٢٢.

<sup>٩</sup> القصراري، مها حسن، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٤، ص ١٩٢.

زوجة له وسيدة في منزله الفخم بين خدامه الكثيرين، فألبسني الحرير، وزين رأسي وعنقي ومعصمي بالجواهر والحجارة الكريمة، وكان يعرضني كتحفة غريبة في منازل أصدقائه ومعارفه، وابتسم ابتسامة الفوز والانتصار عندما يرى عيون أترابه ناظرة إلي بإعجاب واستحسان، ويرفع رأسه تيهًا وافتخارًا إذ يسمع نساء أصحابه يتكلمن عني بالإطراء والمودة. ولكنه لم يكن يسمع قول السائل: أهذه زوجة رشيد بك أم هي صبية تبناها؟ وقول الآخر: لو تزوج رشيد بك في زمن الشباب لكان بكره أكبر سنًا من وردة الهاني".

يؤدي هذا الاسترجاع الاستذكاري عدة وظائف في سياق السرد، فهو يسد فراغًا في القصة التي بدأت مع ترك وردة لبيت الزوجية، وذهابها مع شاب من عمرها لتعيش المحبة الحقيقية، كما أن هذا السرد يأتي في سياق تبرير السيدة وردة لفعلها الشنيع في عرف المجتمع، فزواجها من رشيد بك كان قبل أن توقد الحياة شعلة المحبة في قلبها، كما أنه كان ينظر إليها بوصفها تحفة للعرض أكثر من كونها روحًا تستحق السعادة، فهو يحيطها بأسباب السعادة المادية الباردة والزائلة (الجواهر والملابس)، ويغفل عن الاتحاد بها بوصفها قيمة روحية تبحث عن السعادة الخالدة في الحب.

ولا يقف استنكار السيدة وردة عند هذا الحد، فهي تستمر في سرد ذكرياتها مع رشيد بك إلى أن التقت بشاب سبى قلبها بنور المحبة المشع من عينيه، فكان أن التحقت به تاركة خلفها حياة أشبه بالسجن، ويأتي دخول هذا الشاب في المشهد السردى ليقطع استنكار السيدة وردة، بعد أن أدى هذا الاستنكار دوره في سياق النص.

ويأتي الاستنكار في قصة (صراخ القبور) بوصفه نقطة انعطاف سردي تُعيد توجيه مسار القراءة نحو الحقيقة الغائبة، إذ تبدأ القصة بمحاكمة شاب قاتل، وصبية عاهرة، وكهل سارق، والحكم عليهم جميعاً بالموت ميتات شنيعة، وفي اليوم التالي يُنفذ حكم الإعدام بما يظنه الناس عدلاً، ولكن ظهور ثلاث شخصيات ترتبط بالمجرمين الثلاثة تبعاً غير رؤية القارئ إلى الأحداث، إذ تظهر صبية حزينة لتواري الشاب الثرى على مرأى من الراوي الذي يسألها عن سر فعلتها، فتسترجع تلك الصبية حادثة قتل الشاب لقائد من قادة الأمير، أراد أن يقتادها قهراً إلى صرح الأمير بدلاً من الضريبة الباهظة التي عجز أهلها عن دفعها، ويتكرر الأمر مع فتى في ربيع العمر يوراي الصبية التي اتهمت بالفسق، ويسترجع في حضرة الراوي حكاية حبه البريء لها، وزواجها قسراً من غيره، ثم مباغته زوجها لهما وهما يجلسان والعفاف ثالثهما، فيتهمها بالفجور. ثم يتكرر الأمر أيضاً مع امرأة ضعيفة الجسم ترتدي خرقاً بالية، إذ تسترجع هذه المرأة قصتها مع زوجها الكهل الذي سرق زنبيلاً من الدقيق كي يطعم أطفاله الذين عضهم الجوع.

لقد أدت الاستنكارات السابقة دوراً جوهرياً في إعادة تشكيل السرد القصصي على نحو جديد تتضح فيه الأمور، فالقصة التي تبدأ بمحاكمة المجرمين وسوقهم إلى الموت وسط مباركة الناس لذلك، تنكفي إلى الماضي القريب عبر تقنية الاسترجاع لتوضح حقيقة التهم التي رمي بها هؤلاء، مما يُشكّل عاملاً مهماً في تصحيح الرؤية السردية التي تتحكم بمسار القراءة، وتضعها في السياق الصحيح، وقد نتج عن ذلك تغيير جوهري في رؤية الراوي الذي يرثي هؤلاء المساكين الذين تدل ظواهر أفعالهم على الجريمة، فيما تحتضن أرواحهم النخوة

<sup>١</sup> جبران، خليل جبران، الأعمال الكاملة - المؤلفات العربية، ص ٦٦.

<sup>١</sup> ينظر: جبران، خليل جبران، الأعمال الكاملة - المؤلفات العربية، ص ٧٦ - ٧٩.

والشهادة والمحبة والعفاف، وهكذا يؤدي السرد الاستذكاري وظيفته الأساسية في هذه القصة، وهي تغيير الدلالات التي رافقت بداية القصة تبعاً لانكشاف الدوافع والأسباب التي حدثت بشخصيات القصة نحو سلوكها. وفي قصة (خليل الكافر) يأتي سؤال السيدة راحيل لخليل عن سبب تركه الدير في ليلة تخافها الذئاب وتهابها العقبان، ليشكل هذا السؤال حافزاً سردياً لاسترجاع حكاية خليل في الدير الذي يعمل فيه، إذ يعود خليل بالذاكرة إلى بداية دخوله إلى الدير يتيماً ليرعى الأبقار، ثم انتقاده لحياة الرهبان المترفة إزاء حياة الفقراء البائسة، وصولاً إلى طرده من الدير بسبب أفكاره التي يعيدها مراراً على مسامع الرهبان ورئيسهم، ويصل الاستنكار إلى اللحظة الآنية التي يتحدث فيها خليل:

"... هكذا طُردت من الدير، وهكذا سلمني الرهبان إلى يد الموت، فسرّْتُ والضباب يحجب الطريق عن بصري، والرياح الشديدة تمزّق أثوابي، والثلوج المتراكمة تتمسك بركبتي، حتى وهنت قواي، فسقطتُ مستغيثاً صارخاً صراخ يائس شعر بأنه لا يوجد من يسمعه سوى الموت المخيف والأودية المظلمة. ولكن من وراء الثلوج والأرياح، من وراء الظلمة والغيوم، من وراء الأثير والكواكب، ومن وراء كل شيء قوة هي كل معرفة وكل رحمة، قد سمعت صراخي وندائي، فلم تشأ أن أموت قبل أن أتطمع ما بقي من سرائر الحياة، فبعثتكما إليّ لكي تسترجعاني من أعماق الهاوية والعدم".<sup>١</sup>

وهكذا يمتد زمن السرد الاستذكاري من لحظة دخول خليل إلى الدير، وصولاً إلى لحظة عثور السيدة راحيل وابنتها على خليل بين الثلوج يُصارع الموت، وقد أتاحت تقنية الاسترجاع هنا تسويغ طرد خليل من الدير من جهة، وكسب تعاطف السيدة راحيل وابنتها معه من جهة أخرى، كما أن هذا الاسترجاع يرهّص لسلوك خليل في بقية القصة، ولا سيما حين يواجه الإقطاعي الشيخ عباس أمام سكان القرية، إذ يسهم الاسترجاع السابق في فهم موقف خليل، ويمنح شخصيته بعداً فكرياً متساوفاً مع ثباته على موقفه، كما يمنحها خاصية التأثير الإيجابي في الآخرين، لأن السرد الاستذكاري مشفوع بالحجة والبرهان كما أسلفنا.

لقد استثمر جبران أسلوب السرد الاستذكاري في كشف دوافع الشخصيات، فكان أن وضع القارئ أمام تاريخ هذه الشخصيات في سبيل فهم حاضرها، وقد أدى ذلك إلى تفاعل القارئ مع سيرورة السرد بعد أن ربط معطيات الاستنكار بمواقف الحاضر، وذلك كله يضمن لجبران تماسكاً سردياً خالياً من الفجوات وال فراغات التي يمكن أن تشكّل عائقاً أمام القارئ في فهم الشخصية.

## ثانياً: السرد الاستشراقي (الاستباق)

الاستباق هو "حركة سردية تقوم على رواية حدث لاحق أو ذكره مقدماً" <sup>٢</sup> يبنى السرد الاستشراقي على تقنية (الاستباق) الدال على مقطع حكائي يروي أو يثير أحداثاً سابقة عن أوانها أو يمكن توقّع حدوثها، وقد تكون هذه الاستشرافات بمنزلة تمهيد أو توطئة لأحداث لاحقة يجري الإعداد لسردها، كما أنها قد تأتي على شكل إعلان لما ستؤول إليه مصائر الشخصيات، ولكن الاستباق عموماً يبقى أقل تكراراً من الاسترجاع.

<sup>١</sup> جبران، خليل جبران، الأعمال الكاملة - المؤلفات العربية، ص ٩٨.

<sup>١٢</sup> صالح، نضال: النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، سورية، ٢٠٠١، ص ١٩٦.

<sup>١٤</sup> يُنظر، محمد، يوسف نجاة: فن القصة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٧٩، ص ١٠٨.

وقلما يعتمد جبران على استباق الأحداث في قصصه، فهي تسير على نحو تقليدي من البداية إلى النهاية، مع وجود بعض الاستنكاكات التي تملأ فراغات القصة، ومن أمثلة الاستباق القليلة في السرد الجبراني ما جاء في قصته (الأجنحة المتكسرة)، إذ يأتي المقطع الأول من هذه القصة تحت عنوان (توطئة)، فيقول في بداية المقطع:

"كنت في الثامنة عشرة عندما فتح الحب عيني بأشعته السحرية، ولمس نفسي لأول مرة بأصابعه النارية، وكانت سلمى كرامة المرأة الأولى التي أيقظت روحي بحاسنها، ومشت أمامي إلى جنة العواطف العلوية، حيث تمر الأيام كالأحلام، وتنقضي الليالي كالأعراس".

توحي هذه المقدمة بأن القصة هي عبارة عن استنكاك حزين لقصة الراوي المتكلم مع حبيبته سلمى كرامة، لكن جبران يستبق الأحداث، ويكشف نهايتها خلال هذه التوطئة، فنراه يتحدث عن حلاوة الحب الأول، ومرارة الفراق بعد هذا الحب، كما يكشف مصير سلمى بقوله:

"وسلمى، سلمى الجميلة العذبة قد ذهبت إلى ما وراء الشفق الأزرق، ولم يبق من آثارها في هذا العالم سوى غصات أليمة في قلبي، وقبر رخامي في ظلال أشجار السرو..."

وقد أدى هذا الاستباق دوراً جمالياً يغري القارئ بالقراءة سعيًا وراء معرفة أسباب هذا المصير البائس، ثم يستثمر جبران النسق الزمني الهابط، إذ تبدأ القصة من اللحظة الراهنة، ليعود جبران بعدها إلى بداية الحكاية، ويصحب القارئ في رحلة الكشف عن الأسباب التي أدت إلى نهايتها على النحو المأساوي الذي جاء في التوطئة، فكانت هذه التوطئة بمنزلة تمهيد للأحداث التي يجري الإعداد لسردها.

وقد تكرر استخدام جبران لتقنية الاستباق في القصة نفسها، ومن ذلك ما جاء على لسان الراوي بعد أن زار بيت فارس كرامة للمرة الأولى، ثم وقوف صاحب البيت مع ابنته في وداعه محملاً إياه أمانة العودة مرة أخرى، وأن يحسبه وسلمى كوالد وأخت له، يقول الراوي:

"إن تلك الكلمات التي قالها لي فارس كرامة هي النعمة الأولى التي أوقفنتني بجانب ابنته أمام عرش المحبة. هي استهلال الأغنية السماوية التي انتهت بالنذب والرتاء. هي القوة التي شجعت روحينا فاقتربتا من النور والنار. هي الإناء الذي شربنا فيه الكوثر والعلقم".

لا تخرج وظيفة هذا الاستباق عن سابقه في إغراء القارئ بمعرفة أسباب النعمة الحزينة التي يوشّي بها الراوي سرده، إذ تأتي الثنائيات الضدية التي تخلقها كلمات فارس كرامة (عرش المحبة، النذب والرتاء)، (النور والنار)، (الكوثر والعلقم)، لتفرض على القارئ مجموعة من الأسئلة حول ماهية هذا الصراع ومآله، فالزيارة الأولى للراوي إلى بيت فارس كرامة كانت ودية وعاطفية، ويأتي هذا الاستباق ليشكّل انزياحاً عن جو الألفة الذي ميّز هذه الزيارة، وكأن الراوي يستشرف مستقبلاً قاتماً للعلاقة مع هذه العائلة، وهو ما كان حقيقة في نهاية القصة.

<sup>١</sup> جبران، خليل جبران، الأعمال الكاملة - المؤلفات العربية، ص ١٢٣.

<sup>١</sup> جبران، خليل جبران، الأعمال الكاملة - المؤلفات العربية، ص ١٢٣ - ١٢٤.

<sup>١</sup> جبران، خليل جبران، الأعمال الكاملة - المؤلفات العربية، ص ١٣٢.

إن البعد الاستشراقي في هذه القصة يقتل عنصر المفاجأة السردية، ولكنه من جهة أخرى يرهص لسيروية الأحداث، ويغري القارئ بتتبعها، فكان الاستباق وسيلة فنية ذات بعد جمالي قائم على تفعيل دور السرد الاستشراقي في الإعداد للأحداث، وكشف مآلها المأساوي، لتبقى عملية القراءة مؤطرة بالحزن الذي يميز صوت الراوي منذ البداية.

### ثالثاً: تسريع السرد

يتم تسريع السرد بتقنيات متعددة، من مثل الخلاصة التي تختزل زمناً سردياً طويلاً بغرض الإيجاز والتكثيف، فتكون بذلك بمنزلة النسيج الرابط للسرد الروائي، أو وسيلة انتقال بين مشهد روائي وآخر . ومن وسائل تسريع السرد أيضاً تقنية الحذف أو الإسقاط، إذ يؤدي الحذف دوراً في اقتصاد السرد وتسريع وتيرته، وذلك بإسقاط فترة زمنية وعدم التطرق لما جرى فيها من أحداث بوصفها زمنياً ميتاً .<sup>٨</sup>

وقد اعتمد جبران تقنية تسريع السرد في كثير من قصصه، كقصة (مرتا البانية) التي تبدأ بتلخيص حياة مرتا قبل اختفائها من بيت وليها، فيستعرض السارد بإيجاز طفولة مرتا اليتيمة، وفقر وليها وعوزه، وبراءة الحياة وفطرتها:

"كذا مرت الأعوام على مرتا المسكينة بين تلك الروابي والأودية البعيدة، فكانت تنمو بنمو الأنصاب، وتتولد في قلبها العواطف على غير معرفة منها، مثلما يتولد العطر في أعماق الزهرة، وتنتابها الأحلام والهواجس مثلما تتناوب القطعان مجاري المياه، فصارت صبية ذات فكرة تشابه تربة جيدة عذراء لم تلق المعرفة بذوراً ولا مشت عليها أقدام الاختبار، وذات نفس كبيرة ظاهرة منفية بحكم القدر إلى تلك المزرعة حيث تتقلب الحياة مع فصول السنة كأنها ظل إله غير معروف جالس بين الأرض والشمس".<sup>٩</sup>

ويستمر تسريع السرد إلى أن تبلغ مرتا السادسة عشرة من عمرها، عندما تلتقي بشاب قرب عين الماء، ثم تختفي بعد ذلك من دون معرفة الأسباب، ويُصرّح جبران أن كل ما سبق هو تلخيص لحياة مرتا بقوله (هذا إجمال ما عرفته عن حياة مرتا في تلك المزرعة الجميلة)، لينتقل بعدها إلى لحظة السرد الراهنة التي يحددها بخريف سنة ١٩٠٠، فكان السرد السريع السابق بمنزلة تلخيص ضروري تقتضيه طبيعة القصة، إذ يختزل فيه الراوي زمناً سردياً طويلاً بغية التركيز لاحقاً على الحدث الرئيس، فالحدث الرئيس الذي يستأثر بالسرد مطولاً هو لقاء الراوي بابن مرتا، ثم لقائه بها وسؤالها عن سر اختفائها، ليكتشف قصتها الحزينة مع شاب استغل جمالها وبراءتها، ثم رماها كخرقة بالية.

وقد استخدم جبران تقنية تسريع السرد أكثر من مرة في قصته (وردة الهاني)، وذلك بغية الوصل بين مشهد قصصي وآخر، ومن ذلك:

<sup>٨</sup> ينظر: بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، ص ١٤٥.

<sup>٩</sup> ينظر: بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، ص ١٥٦.

<sup>٢</sup> جبران، خليل جبران، الأعمال الكاملة - المؤلفات العربية، ص ٤٣.

١ - "غبت عن بيروت بضعة أعوام، ولما رجعت إليها، ذهبت لزيارة رشيد..": ينتقل جبران عبر تسريع السرد بضعة أعوام ليصل بين مقدمة القصة التي تصف الزواج غير المتكافئ بين رشيد بك والسيدة وردة، وزمن عودته إلى بيروت لزيارة رشيد بك، فوجده مريضاً مهموماً.

- "بعد أيام التقيت لأول مرة بالسيدة وردة الهاني في بيت حقير محاط بالزهور والأشجار": ينتقل جبران عبر تسريع السرد بضعة أيام ليصل بين مغادرته منزل رشيد بك بعد أن سمع قصة هروب زوجته، وزمن لقائه بالسيدة وردة في بيتها الجديد، لتسرد عليه قصة زواجها وهروبها.

- "وبعد هنيئة وقفت وودعتهما مظهرًا بغير الكلام تأثيرات نفسي": ينتقل جبران عبر تسريع الزمن بضعة لحظات ليصل بين دخول الشاب الذي اقترنت به السيدة وردة بعد تركها زوجها إلى مجلس الراوي ووردة، وزمن مغادرة الراوي محملاً بمشاعر متناقضة وأسئلة ملتاوعة حول صوابية موقف السيدة وردة.

تتراوح مدة تسريع الزمن في هذه القصة بين الأعوام والأيام واللحظات، والغاية هي التركيز على الأحداث التي تخدم سياق القصة، وربطها ببعضها عبر تسلسل زمني يُهمّل الأحداث التي لا تؤثر على مسار القصة، وبذلك تخلق الحكاية من الحشو والتطويل غير المفيد.

وهكذا تتعدد وظائف تسريع السرد وتقنياته، ويمكننا أن نضيف إلى ما سبق تقنية الحذف أو الإسقاط، إذ يُسقط جبران الأحداث التي تجري بين زمنين سرديين لقلة فاعليتها في سيرورة الأحداث، ففي قصة (خليل الكافر)، يُسقط جبران أسبوعين من الزمن بعد عثور السيدة راحيل وابنتها مريم على خليل، وسماع قصة طرده من الدير:

٤ "مضى أسبوعان على تلك الليلة والفضاء المتلبّد بالغيوم يسكن حيناً ثم يثور متهيجاً..".

ويأتي هذا الحذف بغية تسريع وتيرة السرد، وعدم التطرق لأحداث بسيطة لا تسهم في البناء السردية، فغاية جبران هنا التركيز على ما جرى بعد أسبوعين من استيقاظ الحب في نفس خليل تجاه مريم، واستدعاء الإقطاعي الشيخ عباس له.

وفي قصة (الأجنحة المتكسرة) يُسقط جبران الأحداث التي تفصل بين زيارات الراوي المتعاقبة إلى بيت فارس كرامة:

"وبعد أيام دعاني فارس كرامة إلى تناول العشاء في منزله، فذهبت ونفسي جائعة إلى ذلك

٥ الخبز العلوي الذي وضعته السماء بين يدي سلمى...".

٢ إن الزمن الفاصل بين زيارات الراوي لبيت فارس كرامة هو زمن ميت، ولذلك يحذفه جبران من السرد، فتحول الشخصيات وتأثير ذلك على الأحداث يتم في بيت فارس، وهذا ما يسوّغ حذف الزمن الميت من سياق القصة لعدم تأثير أحداثه فيها.

٢ جبران، خليل جبران، الأعمال الكاملة - المؤلفات العربية، ص ٦٤.

٢ جبران، خليل جبران، الأعمال الكاملة - المؤلفات العربية، ص ٦٥.

٢ جبران، خليل جبران، الأعمال الكاملة - المؤلفات العربية، ص ٧١.

٢ جبران، خليل جبران، الأعمال الكاملة - المؤلفات العربية، ص ٩٩.

٢ جبران، خليل جبران، الأعمال الكاملة - المؤلفات العربية، ص ١٣٥.

وهكذا يكون جبران قد وظّف تقنيات تسريع السرد بما يخدم غايته من القصة، فهو يركّز على الأحداث المؤثرة، ويُسقط ما عداها، فجاءت قصصه من دون حشو زمني غير فاعل، لكي يستطيع القارئ مواكبة السرد في أحداثه الفاعلة، فكان الانتقال السريع من زمن إلى آخر رابطاً للمشاهد القصصية، وتكثيفاً للأحداث، وتسريعاً لوتيرة السرد.

#### رابعاً: تعطيل السرد

يكون تعطيل السرد عبر تقنيتي المشهد الدرامي أو الوقفة الوصفية، إذ يقوم المشهد الدرامي على الحوار المعبر عنه لغوياً، والمورّج على ردود متناوبة كما هو مألوف في النصوص الدرامية، ويفيد هذا الحوار في تكوين صورة عن الشخص المتكلم في المشهد، والكشف عن الطباع النفسية والاجتماعية للشخصيات . أما الوقفة الوصفية فقد تكون بمنزلة محطة استراحة يستعيد فيها السرد أنفاسه .<sup>٧</sup>

وتكثر في قصص جبران الوقفات الوصفية التي تصوّر مشهداً يربط بين حدثين في السرد، ويُمثل هذا المشهد الوصفي في أغلب الأحيان إرهاباً للحدث اللاحق، كما جاء في قصة (يوحنا المجنون) بعد أن استعرض الراوي حياة يوحنا في شببته، فيقول:

"جاء الربيع، وازمحت الثلوج في الحقول والمروج، وأصبحت بقاياها في أعالي الجبال تذوب وتسير جداول جداول في منعطفات الوديان، وتجتمع أنهاراً غزيرة تتكلم بهديرها عن يقظة الطبيعة، فأزهت أشجار اللوز والتفاح، وأورقت قضبان الحور والصفصاف، وأنبتت الروابي أعشابها وأزهارها، فتعب يوحنا من الحياة بجانب الموقد..."<sup>٨</sup>

يربط هذا المشهد الوصفي للطبيعة بين السرد الجبراني الذي يستعرض حياة يوحنا خلال ليلي الشتاء الطويلة، ونهمه للقراءة والاستزادة من الإنجيل المقدس، ثم خروجه مع مجيء الربيع لكي يرعى عجوله التي ملّت ضيق المرباض، ويتناغم استيقاظ الطبيعة من سباتها في هذا المشهد، مع استيقاظ روح يوحنا الذي تشبّع بتعاليم السيد المسيح، وكأن جبران يرهص لتوق يوحنا إلى الانعتاق من حياة البؤس التي يعيشها، والانفتاح على الطبيعة بفطرتها وحيويتها، ويأتي الحدث اللاحق لخروج يوحنا إلى المراعي، واصطدامه بالرهبان، ليتوّج هذه البقطة التي تتاب الطبيعة ويوحنا في آن، فكان هذا المشهد ذا وظيفة دلالية بنى عليه جبران الأحداث اللاحقة. وتكثر مثل هذه المشاهد الوصفية للطبيعة في السرد الجبراني، فغالباً ما يُعطّل جبران السرد ليلتفت إلى الطبيعة في سكونها وحركتها، لكن هذا التعطيل ليس عبثياً، إذ يربط جبران بين الأحداث التي يحتويها السرد، والمشاهد الوصفية التي تعطله، ويبدو ذلك واضحاً في أكثر من قصة، إذ يأتي المشهد الوصفي لغضب الطبيعة في قصة (خليل الكافر) ليتناغم مع حادثة طرده من الدير، فيغدو هذا الغضب مؤطّراً لمسير خليل خارج الدير نحو المجهول:

"توارى النور الضئيل، وغمرت الظلمة البطاح والأودية، وابتدأت الثلوج تنهمر بغزارة، والعواصف تصفر وتتسارع ملععة من أعالي الجبال نحو المنخفضات، حاملة الثلوج لتخزينها في الوهاد، فترتعش لهولها الأشجار، وتتملأ أمامها الأرض ..... ففي هذه الليلة الهائلة،

<sup>٦</sup> ينظر: بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، ص ١٦٦.

<sup>٧</sup> ينظر: بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، ص ١٧٥.

<sup>٨</sup> جبران، خليل جبران، الأعمال الكاملة - المؤلفات العربية، ص ٥٢.

وتحت هذا الجو الثائر، كان فتى في الثانية والعشرين من عمره يسير على الطريق

٩

المتصاعدة بتدرج من دير قزحيا إلى قرية الشيخ عباس".

وبذلك يؤدي تعطيل السرد عبر هذا المشهد الوصفي دوراً دلاليّاً يسرّب مسير خليل بين الوديان، ويجعله مسيراً محفوفاً بالخوف والجوع والبرد والموت، وهذا الربط بين المشاهد الوصفية للطبيعة والسياق السردى للحكاية يحضر أيضاً في قصة (الأجنحة المتكسرة)، إذ يحتضن وصف الربيع ولادة الحب بين الراوي وسلمى كرامة، ويأتي وصف الخريف ليرهص لآلام الفراق بينهما، وبذلك تغدو الطبيعة - بمشاهدها الوصفية التي تعطل السرد - عاملاً دلاليّاً يوظفه جبران في سياق الحكاية توظيفاً جمالياً نابعاً من ارتباطه بالأحداث.

وقد يأتي تعطيل السرد، أو إبطاؤه، في سياق انثيال سردي لإحدى الشخصيات، فيكون إيقاف هذا الانثيال بمنزلة محطة استراحة يلتقط فيها السرد أنفاسه، ثم يتابع سيره نحو غايته، وهذا ما يتبدى بوضوح في قصة (وردة الهاني) خلال لقاء الراوي معها، واستماعه إلى قصة زواجها ومسوغات هروبها من زوجها، فتنتال الكلمات على لسان السيدة ورده، ويقطع هذا الانثيال لحظات من الصمت يتعطل فيها السرد، وقد عبّر جبران عن هذا اللحظات كما يأتي:

تبدأ السيدة ورده سرد قصتها بدءاً من بلوغها الثامنة عشرة، وزواجها من رشيد بك قبل أن تفهم المعنى الحقيقي للمحبة، ثم تصف البون الشاسع بين رغد العيش الذي أحيطت بها في منزل زوجها، وبؤس الحياة التي اكتنفت روحها لعدم شعورها بالمحبة تجاهه، وفي أتون هذا الصراع يبرز شاب بهي الطلعة ليغيّر رؤية ورده للحب، وليشحن مشاعرها بالعذوبة والحيوية، ثم تأتي لحظة تعطيل السرد الأولى:

"وسكنت السيدة ورده دقيقة، وقد أغمضت عينها الكبيرتين كأن ذلك الماضي قد

انتصب أمامها فلم تجسر أن تحرق إلي وجهاً لوجه. ثم عادت فقالت: "...".

يأتي تعطيل السرد هنا ليفصل بين مرحلتين من حياة السيدة ورده، فقد استوجب ذكر الشاب الذي غيّر مسار هذه الحياة توقفاً زمنياً عن السرد، لتسترجع السيدة ورده تفاصيل نقطة التحول البارزة في حياتها، ثم تتابع السرد لتوغل في وصف حالة الصراع التي انتابتها بين رضوخها لشرعية الأرض واستجابتها لإرادة السماء، قبل أن تحسم أمرها بالذهاب مع هذا الشاب لتعيش السعادة الحقيقية من عناق روجيهما، ثم تأتي لحظة تعطيل السرد الثانية:

"ونظرت إلي السيدة ورده نظرة معنوية كأنها تريد أن تخترق صدري بعينها لترى تأثير

كرمها في عواطفني، وتسمع صدى صوتها من بين ضلوعي. لكنني بقيت صامتاً كيلاً أوقفها

عن الكلام. فقالت وقد قارن صوتها بين مرارة الذكرى وحلاوة الخلاص والحرية: "...".

يأتي تعطيل السرد هنا كي تقيس السيدة ورده تأثير قرارها في نفس المستمع إليها، وهكذا يفسح توقف السرد المجال للتواصل بين طرفي الحديث، لكن الطرف الثاني يبقى صامتاً رغبةً منه في الاستماع إلى بقية القصة، وقد شجّع ذلك السيدة ورده على الاسترسال في استعراض نظرة المجتمع لها بعد تركها منزل زوجها، فهي خائنة وزانية وعاهرة في عرف هذا المجتمع، ولكنها ترى نفسها زانية عندما كانت في منزل زوجها، إذ

<sup>٢</sup> جبران، خليل جبران، الأعمال الكاملة - المؤلفات العربية، ص ٨٩.

<sup>٣</sup> جبران، خليل جبران، الأعمال الكاملة - المؤلفات العربية، ص ٦٧.

<sup>٣</sup> جبران، خليل جبران، الأعمال الكاملة - المؤلفات العربية، ص ٦٧.

كانت تشبع جوفها من خيراته ليشبع ميوله من جسدها، وهكذا تصل السيدة وردة إلى يقينها بأنها اليوم قد صارت طاهرة شريفة، رغم نظرة المجتمع لها، ثم تأتي لحظة تعطيل السرد الثالثة:

"والتفتت السيدة وردة نحو النافذة وأشارت بيمينها نحو المدينة، ورفعت صوتها عن

ذي قبل، وقالت بلهجة الاحتقار والاشمئزاز كأنها رأت بين الأزقة وعلى السطوح وفي الأروقة

أشباح المفاسد وأخيلة الانحطاط: "...".

يأتي تعطيل السرد هنا ليشهد القارئ تحولاً في نبذة السيدة وردة عند حديثها عن المجتمع الذي نعيش فيه، وبذلك يُرهِص هذا التوقف السردى لعلو صوتها، وتحول لهجتها إلى الاحتقار والاشمئزاز، وهكذا يؤدي تعطيل السرد دوره في التمهيد للانتقال إلى مرافعة طويلة تسرد فيها السيدة وردة رؤيتها لهذا المجتمع المتناقض في نظريته إلى الحياة، فنفاضل بين منازل الأغنياء التي يوحى ظاهرها بالسعادة، فيما هي قبور تمور بالتعاسة والشقاء، وعلى العكس من ذلك منازل الفقراء، وهكذا يفتح السرد على معاينة المجتمع من (النافذة) التي التفتت منها السيدة وردة إلى المجتمع، ثم يزداد هذا الانفتاح السردى اتساعاً بعد لحظة تعطيل السرد الرابعة:

"وأمسكت وردة بيدي وقادتني إلى جانب النافذة التي كانت تنظر منها نحو تلك المنازل

والقصور وقالت: "...".

يأتي تعطيل السرد هنا كي يفسح المجال لجذب انتباه المستمع إلى رؤية السيدة وردة للمجتمع، وهي انعكاس لرؤية جبران، فنراها تمسك بيد محدثها، وتقوده إلى جانب النافذة، ليشاركها الرؤية ذاتها، وبذلك فإن تعطيل السرد هذا يتوخى دفع القارئ إلى تبني رؤية السيدة وردة، وهي تستعرض نماذج بشرية تعيش حالة النفاق مع ذاتها ومع محيطها، ويستمر استعراض هذه النماذج ضمن سياق السرد إلى أن تأتي لحظة تعطيل السرد الخامسة:

"وسكتت السيدة وردة هنيهة وقد جلست على مقعد بجانب النافذة كأن نفسها قد تعبت

من التجول في مخادع تلك المنازل الخفية، ثم عادت تقول بهدوء: "...".

يأتي تعطيل السرد هنا ليُشكّل نقطة تحول جديدة في حديث السيدة وردة، فهي تجلس بعد وقوفها، ويميل صوتها إلى الهدوء بعد الصخب الذي رافق حديثها عن نماذج من البشر تتلفع بالرياء والكذب والخبث، وكأنها قد وصلت إلى قناعة ثابتة بصوابية موقفها إذ هجرت هؤلاء الناس، ولأنت بسعادتها الحقيقة مع الشاب الذي أحبته وأحبها، وهكذا يغمر شعور الرضا حديث السيدة وردة وهي تسير به نحو نهاية قصتها، فنراها تمجد تمرداها على نوااميس البشر، وتتبع نداء قلبها الذي أوصلها إلى ما هي عليه الآن من سعادة، ثم ينقطع سرد السيدة وردة مع وصولها إلى خاتمة القصة، ودخول الشاب الذي أحبته إلى مجلسها مع الراوي الذي اكتفى بالاستماع، وتنتهي الحكاية مع خروج هذا الراوي من منزل السيدة وردة محملاً بالأسئلة الملتاعة عن حق السيدة وردة بالتمرد على شرائع الأرض، وتليبيتها لنداء قلبها.

لقد أدى تعطيل السرد المتلاحق في حديث السيدة وردة دوره الوظيفي في إضفاء تلاوين سردية مختلفة تنوعت بين الصخب والهدوء، وبين النبوة الحجاجية والتقريرية، ولو جاء هذا الحديث متصلاً لافتقد الكثير من

<sup>٣</sup> جبران، خليل جبران، الأعمال الكاملة - المؤلفات العربية، ص ٦٨.

<sup>٣</sup> جبران، خليل جبران، الأعمال الكاملة - المؤلفات العربية، ص ٦٩.

<sup>٣</sup> جبران، خليل جبران، الأعمال الكاملة - المؤلفات العربية، ص ٧٠.

قيمتها الجمالية النابعة من اختلاف النبذة والموقف، وبذلك فإن تعطيل السرد المتلاحق لم يكن مجرد محطات استراحة خلال الحديث وحسب، بل كان أيضاً موجّهاً لمسار القراءة، وفاعلاً في إسباغ المشاعر الإنسانية على الكلام.

## خاتمة:

نوع جبران في استخدام تقنيات الزمن ضمن سرده القصصي، وذلك وفق مسوغات جمالية ودلالية تخدم سياق السرد، إذ أفاد من تقنية الاسترجاع في كشف دوافع الشخصيات من جهة، مما يساعد على فهمها، وملء فراغات النص من جهة ثانية، مما يضمن لهذا النص تماسكاً سردياً، كما استثمر تقنية الاستباق كي يرهص لسيرورة الأحداث، معولاً على الوظيفة الإغرائية للسرد الاستشراقي، أما تسريع السرد فقد أكسب نصوص جبران رشاقة وتكثيفاً بإسقاطه ما يُعرف بالزمن الميت، والتركيز على الأحداث المؤثرة، وأما تعطيل السرد فكان بمنزلة محطات استراحة ليلتقط السرد أنفاسه، كما أنه يسهم في توجيه مسار القراءة نحو غاية جبران من القصة.

## ثبت المصادر والمراجع

- بحراوي، حسن، *بنية الشكل الروائي - (الفضاء، الزمن، الشخصية)*، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٠م.
- جبران، جبران خليل، *الأعمال الكاملة - المؤلفات العربية*، الدار السورية الجديدة - مؤسسة رسلان علاء الدين، ط١، ٢٠٠٢م.
- درويش، أسمية، *مسار التحولات، قراءة في شعر أدونيس*، ط١، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٢م.
- زيتوني، لطيف : *معجم مصطلحات نقد الرواية (عربي، إنجليزي، فرنسي)*، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٢ .
- صالح، نضال : *النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة*، اتحاد الكتاب العرب، سورية، ٢٠٠١.
- عزام، محمد، *شعرية الخطاب السردية*، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.
- القصراري، مها حسن، *الزمن في الرواية العربية*، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤ .
- محمد، يوسف نجات : *فن القصة*، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٧٩.
- مرتاض، عبد الملك : *ألف ليلة وليلة*، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية جمال بغداد، ديوان مطبوعات الجامعة، الجزائر، ط ١، ١٩٩٣ .
- ولسون، كولن، *كرة الزمان عبر التاريخ*، ترجمة: فؤاد كامل، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٥٩، مارس ١٩٩٢م.